محنة الإمام أبي الحسن الشاذلي وأثرها الإيجابي في نشر أفكاره المتسامحة

أ.د .جواد فقي علي م .كاكه خان نصرالدين أمين
جامعة كويه

ملخص البحث

تناول الباحثان في هذا البحث محنة الإمام أبي الحسن الشاذلي وأثرها في نشر أفكاره، فالذي يلفت النظر في مواقف الإمام الشاذلي من خصومه هو أنه قابلهم بالدعاء لهم بالإصلاح والهداية، وقد اثمرت سياسته الحكيمة هذه، فانتصر على أعدائه وخذلهم، وقد انتجت هذه السياسة ما انتجت من إنتشار أفكار الإمام شرقا وغربا وشمالا وجنوبا لاسيما في أقصى المغرب العربي وشمال أفريقيا ومصر .

كما أشار الباحثان الى حضور التكية الشاذلية في العراق وبالذات في كركوك ومساهمتها في الحياة الإجتماعية للكركوكين وسعي هذه الطريقة للتضامن الإجتماعية والأخاء والمحبة

هذا البحث متكون من مباحث نتناول فيها محبة الإمام أبي الحسن الشاذي وأثر هذه المحنة في نشر أفكاره، ودور التكايا الشاذلية في العراق- ولاسيما مدينة كركوك.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا و مولانا أبي القاسم محمد و على آله الطيبين وأصحابه اجمعين.

أمّا بعد:

فان التصوف في الاسلام هو علم الاخلاق، و يتمثل جانبه في شخصية المرء المسلم وسيرته، فهو ممارسة عملية ذاتية لما ورد في الكتاب و السنة من أخلاق و آداب، فالغاية من التصوف في الاسلام هو إقامة النفس، و ترويضها على حسن الخلق، و هذا المنهج هو الذي وضع السيد الجنيد البغدادي(ت٢٩٨ه/٩١٠م) أسسه و منطلقاته عندما سئل عن التصوف فقال هو:- اجتناب كلّ خلق دني و استعمال كلّ خلق سني، وأن تعمل لله ثم لا ترى انك عملت[١].

وهذه الامور المهمة هي التي تمثل جوهر الاسلام، فالتصوف هو: الدعوة الى الاقبال على الله والمقبل عليه تعالى يصير من الخلق أجنبياً و من آفات نفسه برياً ومن الملاحظات نقياً و يديم مع الله مناجاته وسرّه[٢].

وللتصوف هذا رجال واعلام تفتخر الامة الاسلامية بهم، و يأتي الامام أبو الحسن الشاذلي في مقدمة هؤلاء الاعلام المبرزين، فهو وكما يقول عنه ابن عياد:- ((صاحب الاشارات العلية، والعبارات السنية، جاء في طريق القوم

---

[١] طارق محمد سليمان الجنيد البغدادي و مدرسة الصوفية : رسالة ماجستير-كلية الشريعة-جامعة بغداد، ١٤٠٩ه/١٩٨٨م، ص١٦٧.

[٢] محمد سليمان الحنفي : الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية و البهجة الخالدية، م .ط .العلمية، مصر، ١٣١٣ه/ ١٨٩٥م/ ص٢٩.

بالاسلوب العجيب و المنهج الغريب الذي جمع بين العلم و الحال أو الهمة و المقال و تخرج بصحبته جماعة من الاكابر)).

فهو وكما يصفه ابن عطاء الله الاسكندري: كان قطب رحى علوم المعارف الالهية و شمس ضحاها، كما كان عالماً بالعلوم الظاهرة، جامعاً لدقائق فنونها و مفتضاً لأبكار المعاني)).هذا و قد عانى ا الامام ابو الحسن ماعانى من المحاربة والإيذاء ، والاكراه على ترك بلده لا لشيء إلا لأنه كان منتمياً الى الدوحة المباركة ـ آل بيت نبـي الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى أله أجمعين .

يقدم الباحثان في هذا البحث المتواضع والذي يحمل عنوان محنة الامام أبي الحسن الشاذلي وأثرها الايجابي في اغناء فكره المتسامح, نبذة عن سيرة الامام وطر يقته في المغرب العربي والعراق وما عاناه على يد اعدائه، وذلك لأن الامام الشاذلي قد جمع بين المشرق والمغرب وهو قد زار العراق في مقتبل عمره، ثم اكمل المسير الى المغرب، و تونس والحجاز، و مصر.

وقد أخذ عن علماء العراق، و اغترف من مناهل علمهم، ثم عاد الى المغرب ليفيد المسلمين، و يرسم الطريق لهم ،ثم أكره على ترك بلده والهجرة الى مصر،و البقاء فيها الى ان وافته المنية وهو في طريقه الى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج . وزعت المادة العلمية لهذا البحث على مباحث ثلاثة و أهم النتائج، خصص المبحث الأول :ـ للتعريف بالامام ابي الحسن الشاذلي وطريقته باعتبارها عودة الى الاصول الرصينة للاسلام، وجاء المبحث الثاني:ـ ليلقى الضوء على التصوف والشاذلية في العراق والمبحث الثالث: نتناول فيه محنة الامام ابي الحسن الشاذلي على يد أعدائه . و قد ختم البحث بذكر أهم ما توصل إليه الباحثان والله الموفق

الباحثان

المبحث الاول

في التعريف بالامام أبي الحسن الشاذلي

يصف العلامة شهاب الدين احمد بن فضل الله العمري المتوفى ٧٤٩ه الامام أبا الحسن الشاذلي بالقول:- ((ولي الله، طالماً أنجد بمدد و أصرّح و إنجلي بفرقده الروع و أفرح، و كان عدة لشدائد و عمدة في دفع مكايد، طالماً أغصّ الكرب، وأراق ذنوب المصايب و قد بلغ عقد الكرب لاصابة سهام، و اجابة دعوة في مهام، لم يحرم في استفتاح السماء، واستمناح النعما، بعادة متوقعة و سرعة، كم فتق بها الرقيع و رقعه، ولم يزل هذا مجرباً و عنه حدثنا يعرف به أنه ممن هدى الله واجتبى))[٣]

إن هذا الوصف، وصف رائع و لا يمكن فهمه الأ، بعد قراءة أهم محطات حياة الامام الشاذلي، فهو قد جمع بين المشرق والمغرب، وتوقفت حياته في الوسط بينهما. فهو مولود في قرية غمارة بالمغرب عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م، وينتمي الى قبيلة عمران في المغرب، وهو من اسرة علوية، شريفة، هاجرت مع من هاجروا من المشرق الى المغرب بعد فادحة

[٣] شهاب الدين أحمدبن يحي بن فضل الله العمري:مسالك الأبصارفي ممالك الأمصار:السفر الثامن - طوائف الفقراء ا لصوفية: تحقيق بسام محمد بارود.من اصدارات المجمع الثقافي ابوظبي٢٠٠٠ـ ص٣٤١ . :عبد الرحمن بن أحمد الجامي ـنفحات الانس في حضرات القدس ـ تصحيح وتعليقات ـ محمود عابدي ـ انتشارات اطلاعات طهران١٣٨٢هـ.ش ،ص ٥٦٢ .

كربلاء التي استشهد فيها سبط الرسول الحسين بن علي عام ٦١هـ، فهو من ناحية الأب حسني و من ناحية الام حسيني ، فقد جمع بين الحسنين(٢).

نشأ في رحاب الايمان في قريته و أخذ يدرس العلوم الدينية وسائل و غايات، و قد فتح الله عليه، فبرع في العلوم أيّما براعة، شدّت اليه الرحال و هو حدث يافع، الاّ انه لم يكتف بهذه العلوم و بدأ بالتجوال في الامصار طلباً للمزيد من العلم، فقد زار بغداد و التقى بأبي الفتح الواسطي، و غيره من علماء بغداد في مدارسهم و صوامعهم، وهو يبحث عمّا يبحث، التقى في بغداد بمجموعة من الأولياء و على رأسهم الإمام أبي الفتح الواسطي و ذلك عام ٦١٨هـ، الواسطي الذي كان إمام زمانه وعالم وقته، وقد سجل لنا الامام أبوالحسن شهادته حوله بالقول:- ولمادخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الواسطي فما رأيت بالعراق مثله)) [٤]هذا وجدير بالاشارة هنا ان سند الواسطى في الطريقة يعود الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجه [٥])

لقد شاهد ابو الحسن كثيراً من الانوار على وجوه علماء بغداد ، والصلاح يرتسم على سيماهم، إلا انه لم يجد ضالته المنشودة فقد وجهه شيخه الواسطي-أبو الفتح- بان قطبه[٦]ببلاده بالمغرب، فقال له:- ((ارجع الى بلادك تجده)) فبدأ باعداد العدة لرحلة العودة الى بلده فيعود من حيث أتى، و يصل الى بلده حيث يجد الرجل، و الرجل هو الشيخ- عبدالسلام بن مشيش-الذي يسكن في مغارة على رأس جبل و معه تلميذه الجنيد بتونس [٧].

وبعد اغتراف أبي الحسن من استاذه كلّ ما استطاع ان يغترف قال له الاستاذ:- يا علي ارتحل الى افريقيا واسكن بها بلداً تسمّى شاذلة. فان الله تعالى يسميك الشاذلي، و بعد ذلك تنتقل من مدينة تونس، و يؤتى عليك بها من قبل السلطة و بعد ان تنتقل الى أرض المشرق و بها ترث القطابة.

هذا وان الشيخ عبد السلام بن مشيش قد أخذ الطريقة عن الإمام ابي أحمد جعفر عبد الله سيد بوته الخزاعي وهو قد لبس الخرقة من شيخه السيد الكبير الرفاعي الذي يعود سنده في الطريقة الى سيدنا ومولانا أمير المؤ منين الامام على بن أبي طالب (رضى الله عنه وكرم وجهه [٨])

وقدكان آخر وصايا ابن مشيش لأبي الحسن- لما حان موعد الفراق:-((يا علي الله الله.. و الناس الناس، نزّه لسانك عن ذكرهم، و قلبك عن التمايل من قبلهم..وعليك بحفظ الجوارح و أداء الفرائض. و قد تمت ولاية الله عندك و لاتذكرهم الأ بواجب حق الله عليك.. وقد تم درعك...)) [٩]و هناك افترق أبو الحسن عن استاذه، و هو سار في طريقه المرسوم، و يقول المترجمون لأبي الحسن: ان كل ما توقعه استاذه له قد تحقق)). و أهمّ المحطات في حياة الشاذلي بعد افتراقه عن استاذه هي الآتي:-

١-الصعود الى جبل زغوان في شاذلة، و يرمز ذلك الى بداية علو مقداره، فكان فرصة للتفرغ للعبادة و منعاً للمتطفلين اللاهين من الجلوس على مائدة الشيخ الروحية، انه كان رياضة روحية بما في معنى الكلمة. وقد أثمرت ما أثمرت من الكرامات و شفافية النفس ومن القرب من الله تعالى و من رضوانه.

---

[٤] - مجلة الدعوة الى الحق العددان ٦٠ -٦١ وزارة الأوقاف والشؤن الاسلامية ص -٣

[٥] - د.يوسف خطار محمد السيرة المرضية في ترجمة مؤ سسي الطرق الصوفية - دار التقوى - ط٢ -مطبعة -نضر -دمشق -١٩٩٩ص ٨٤

[٦] - عبد الرزاق القاشانى -معجم المصطلحات الاشارات الصوفية -تحقيق -سعيد عبد الفتاح -مطابع المصرية -٢٠٠٤ صـ ٢٠ :

[٧] - مجلة دعوة الحق -العددان -٦٠ -٦١ (م.س) ص -٤

[٨] - عامر النجار - طرق الصوفية في مصر ،نشأتها ،ونظمها وروادها ، ط٥ -دار المعارف ص - ١٢٩

[٩] - د . يوسف خطار محمد -السيرة المرضية في ترجمته مؤسسي الطرق الصوفية المصدر السابق ص -٩٠

٢-تنتهى فترة العزلة-(فترة التدريب و الصقل الروحي)- فينزل إثرها الشاذلي من الجبل الى تونس ويسكن مسجد البلاط. و هو بمجرد نزوله الى هناك يلتفّ حوله الفضلاء و اصحاب الكرامات والمكاشفات ويوماً بعد يوم يكثر المريدون حتى يجتمع عليه خلق كثير.

٣-في تونس و بعد ان ذاعت صيته و تهافت الناس حوله و رغبوا فيه لما رأوا فيه من صلاح وتقوى و علم وافر و كرامات جمة، لم تمض الافترة قليلة حتى اشتعلت نار الفتنة بشأنه وهاجمه حساده، مما سنذكر تفاصيله في المبحث الثالث من هذا المبحث المتواضع .

٤-و قبل ان يلقى ربّه-كان يخرج الى الحج كل عام و في طريقه الى الحج آخر مرة، و عند قنا قال لخادمه استصحب فأساً، وحانوطاً و ما يجهز به الميت،وكأن في ذلك اشارة الى قرب اجله و في خميثرا سوف ترى، فتوفّى الشيخ سنة[٢] اربع و خمسين و ست مأة في صحراء قاحلة بحميثرا في صعيد مصر في صحراء عيذاب ،

وهو في طريقه الى الحج و هذه الصحراءالتيَ كانت جافة لا ماء و لازرع فيها و ببركته نبعت المياه و نبت الزرع.فيها[١٠] هذا و من صدف القدر انه و بعد وفاة الشيخ اضطربت الاوضاع في البلدان الاسلامية و بموته حدث حادث جلل في البلاد الاسلامية فقد هاجم التتار عاصمة الخلافة الاسلامية- مدينة السلام- بغداد، و قتلوا الخليفة و ذبحوا المسلمين و احرقوا المكتبات العامرة، و ألقوا بنفائس مخطوطاتها في نهر دجلة، هذاولابدمن الاشارة ان الامام الشاذلي لم يترك كتباًولما سئل لم لا تؤلف الكتب ؟ قال : كتبي أصحابي .

إن التراث الذي تركه الإمام لتلاميذه وأتباعه يتمثل في أحزابه وأوراده ووصاياه لهؤلاء الأصحاب والاتباع ،وأحزاب الشاذلي تكشف عن طاقة روحية هائلة وقدرة خلاقة على التعبير عن الومضات الروحية والاشراقات والجوانب الانفعالية الانسانية كما تكشف عن ابداع فني جميل ، هذا ويعدّ حزب البر من أجمل احزاب الشاذلي وقد رتبه وارثه ابو العباس المرسى كورد يقرأ بعد صلاة الصبح ،كما رتب حزب البحر وردًابعد صلاة العصر، وأغلب هذا الحزب أيات من القرأن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال الأئمة من أهل البيت وحزب البر حقيقةً من أجمل الأحزاب ، ويتميز بكلماته المشرقة الفياضة هذا وحياة الشيخ أبي الحسن الشاذلي و افكاره وأقواله مدرسة تربيّ بها النفوس، و الغريب في أمر منهجه هو انه يربّى السالك على الشكر ، فلما دخل الأسكندرية تصدّر أهلها لايذائه فأظهر الله على يديه الكرامات الخارقة وكفّ أيدى الناس عنه واعتقدالعوام والخواص به ([١١])والواقع أن نشاطات الشاذلي ودعوته قد بلغ أوج قوتها وانتشارها بعد هذه المرحلة من حياته ، فتهجيره كان سبباً رئيسا لازدهار طريقته ونشرها و فيما يأتي بعض أقواله و ارشاداته لمريديه:-

١-دخل على أبي الحسن-فقير صوفي و عليه لباس من شعر و امسك الفقير بملابس الشيخ و قال له:- ما عبدالله بمثل هذا اللباس الذي عليك فقال الشيخ: لباسي يقول:- أنا غني عنكم فلا تعطوني ولباسك يقول: انا فقير اليكم فاعطوني ([١٢])

وفي احدى المرات اراد أبو العباس المرسي-أن يأكل الخشن ويلبس الخشن، فقال له شيخه أبو الحسن:- اعرف الله وكن كما شئت ومن عرف الله فلا عليه أيضاً إن أكل هنيئاً و شرب مرئياً.

---

[١٠] - عبد الرحمن بن أحمد الجامي نفحات الانس ، المصدر السابق ، ص٥٦٨

[١١] - د.يوسف خطار محمد ـالسيرة المرضية المصدر السابق ،صـ٨٣ .

[١٢] - أحمد أبو الكف ـ اعلام التصوف الاسلامي – مكتبة الاسكندرية ، مصر ٢٠٠٢ ـ ص ـ ٥١

وتتضح فلسفته من أخذ الطيبات فيما يقوله لمريده:((يا بنيّ برّد الماء السخن فإن شربت الماء البارد، فقلت الحمدلله استجاب كل عضو منك بالحمد لله))فالتصوف عندالشاذلية ليست رهبنة انعزالية .

يقول الامام أبو الحسن : ـ ((ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير و النخالة و انما هو بالصبر على الأوامر و اليقين في الهداية))، فالطريقة الشاذلية تندرج ضمن المبنية على السهولة والرخص والانبساط)) [١٣]، و هذه الفلسفة تهدف- في الواقع- الى اتاحة الاسباب لكل مسلم ان يؤدي حق الله تأدية على أكمل وجه و أتمّه.

وكل ذلك يوصلنا الى القول بان الشاذلية مبنيه على الاعتدال وعدم الاسراف كما هي مبنية على شكر النعم. فيقول أبوالحسن :- ((لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها أو تنحل اعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة او بالفكرة أو بالارادة أو بالحركة...)).

٢-يبدو للباحثان ان الامام الشاذلي قد جاهد جهاداً مريراً من أجل الفناء في اختياره مع الله.. والحب وسيلته للوصول الى هذا الهدف المنشود و لعلّ خير دليل على ذلك هو تعاطفه حتى مع اعدائه بالدعاء لهم بالهداية، فكان أبو الحسن يقابل خصمه ابن البراء و يلقى عليه السلام فلا يرد هوعليه فكان يقابل اساءة عدوه بالمعروف والصفح(١٤) ، وهنا نلحظ تشابهاً بين مولانا خالد النقشبندى وبين الامام الشاذلى فهو أيضاً قد عانى ما عانى على يد خصومه وقد طلبوا منه الكفّ عما عليه من ارشاد ،فردّ على الثانين عزمه ، المعارضين لدعوته بمنطق الحكمة والموعظة وما جادلهم الا بالتي هي أحسن حيث قال ،إن اردتم ان اترك امر الدعوة والركون الى ماانتم عليه فانّي لست بتارك نهجي ،وماعندكم يضاهي مائدة صغيرة لشخص مسكين قياساً بما عندي من نعمة الايمان التيَ لا تعد ولا تحصى ،هيهات هيهات ان اترك ما أنا عليه من الدعوة الى الحق.

فالامام أبي الحسن ومولانا خالد كانامن داعيه التسامح والعفو عمن أساء اليهم فهما أغضا الطرف عن المسيئين وفتحا صفحةً جديدةً في العلاقة مع الخصم وقد أثمرت هذه السيا سة الحكيمة فانتصرا على خصومهم وخذلا اعداء هما ([١٥])

٣-كان العلم عند أبي الحسن من عناصر شخصيته و مكونات فكره لدرجة انه كان يعد الجهل والرضابه من الكبائر لذا فمن المأثور عند الشاذلية قولهم:- ((لا كبيرة عندنا أكبر من اثنين حبّ الدنيا بالايثار والمقام على الجهل بالرضا)) لأن حبّ الدنيا اساس كل خطيئة والمقام على الجهل أصل كل معصية))[١٦].

٤- إن الطريقة الشاذلية طريقة الوصول الى الله والعودة الى الاصول والثوابت في الاسلام يقول الامام الشاذلي : ـ ((إنا لا نرى مع الحق من الخلق احداً ان كان و لا بد فكالهباء في الهواء ان فتشته لم تجده شيئاً.)) كماو يقول: لا يكن حظك من دعائك الفرح بقضاء حاجتك دون فرحك بمناجاتك لمحبوبك فتكون من المحجوبين)).

---

[١٣] - د.عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر - المصدر السابق صـ١٣٠

[١٤] - أحمد أبو كف المصدر السابق ص ـ٤٨

١٥ - د.جواد فقي على م. ـقاره مان نـادر ـ منهج مولانا خالد النقشبندى في التعامل مع خصومه ـبحث مقدم الى مؤتمر التصوف الاسلامى في كرميان ـوالمنعقد بتأريخ ٢ ـ٤ ـ٢٠١٤ ـ١٣ ـ

١٦ - د.أحمد أبو كف ـالمصدر السابق ص ـ٥٣

٥-اهتمت الشاذلية بالجانب التربوي للمريد فقد ووضع الامام أبوالحسن ضوابط محددة لهذه التربية و لخصها في أربعة آداب، حيث يقول:- ((كل فقير لم يكن فيه أربعة آداب فاجعله و التراب سواء : ـ الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والانصاف من النفس، وترك الانتصاف لها)) [١٧].

٦- هذا ومما يميز الشاذلية هو ضرورة السعي في مصالح الناس و قضاء حوائجهم، لهذا لم يكن الامام يتورع أو يقصّر عن نجدة المظلوم ومن أجل ذلك كثرت شفاعات أبي الحسن عند الامراء والسلاطين للذين لاجاه لهم و للضعفاء ولذوي الحاجات على مختلف الوانهم...)) [١٨].

هذا ولابدّ من الاشارة الى ان الطريقة الشاذلية بمثابة مؤسسة اجتماعية من مؤسسات المجتمع المدني او الاهلي في كثير من الاحيان وفي كثير من الاماكن، فضلاً عن كونها طريقة صوفية يمارس اتباعها الطقوس التي تمارسها الطرق الصوفية الأخرى[١٩].

المبحث الثاني

تأريخ الشاذلية في العراق التكية الشاذلية في كركوك أنموذجاً

لا يخفى على أحد مما للعراق من مساهمات حضارية في تأريخ البشرية، فعلى أرض هذا البلد ولدت حضارات كالسومرية والبابلية و الاكدية...الخ.

وقد انتشر الاسلام في العراق منذ بدايات الدعوة الاسلامية في العقد الثاني من القرن الاول من التأريخ الهجري، واصبح العراق- من المراكز المهمة للحضارة العربية الاسلامية فلعبت بغداد، ما لعبت من الدور في اغناء هذه الحضارة وتزويدها بعمالقة الفكر.

وبما ان موضوعنا عن التصوف الاسلامي، فالباحث في تأريخ هذا العلم يصل الى قناعة مفادها: ـ أنّ التصوف ولد لبغداد وان بغداد قد ولدت للتصوف، فما من رائد في عالم التصوف في الاسلام إلاّ و ولد أو نشأ أو درس أو مرّ أو مات ببغداد، فاذا كانت ولادة التصوف بالمعنى الاصطلاحي له في القرن الثاني الهجري و ذلك بالاعتماد على تأريخ الزهاد والمتنسكين وسيرهم، ثم تطور فأصبح له فرقة منظمة لها أحوالها و فروعها و آدابها و رسومها الخاصة بها في القرن الرابع الهجري(٢٠). فان حياة عالم من اعلام العرفان بالله هو بشر بن الحارث الحافي المتوفىّ عام ٢٢٧هـ في بغداد(٢١)، دليل من الأدلة على ان بغداد سبقت غيرها في وضع قواعد التصوف والزهد والحب في الله.

---

١٧ - عبد الرحمن بن أحمد الجامي ـ المصدر السابق ـص ـ٥٦٨ .

١٨ - د .عامر النجار ـالمصدر السابق ـ ص ـ١٣٦ .

١٩ - عمار على حسن ـ الصوفية والسيلسة في مصر ـمركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر ـ دار المعاريف ـط ـ١ يناير ـ١٩٩٧ ـص ـ١٤٦ .

٢٠ - د.قاسم غني ـتأريخ تصوف در الاسلام (تأريخ التصوف في الاسلام)الطباعة الحديثة ـمصر ـ١٩٧٠ ـص٢٨٧

٢١ - د. عبدالحليم محمود ـ العارف بالله بشر بن الحارث الحافي ـدار المعارف ـالقاهرة ـ١٩٩٤ ـص ـ١٢٧

وقد انتشرت الطرق الصوفيه في العراق و في مقدمتها: القادرية، الرفاعية، الخلوتية، النقشبندية، السهروردية، الشاذلية.

وبما ان دراستنا منصبه على تأريخ الشاذلية، فنقول ان الشاذلية لها موطئ القدم البَين في المدن الكبيرة قي العراق وفي مقدمة هذه المدن الموصل الحدباء والبصرة الفيحاء و دار السلام بغداد، فكانت في الموصل تكية معمورة لهذه الطريقة في زمن السلطان عبدالحميد الثاني، و كانت مدارة من قبل الشيخ علي الرضواني، كما كانت في البصرة تكية زاهرة للشاذلية في القرن الخامس عشرالميلادي، وكانت مداراة من قبل اعيان باشا الكواز، ظلت عامرة ولحين سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣، كما كانت في أبي غريب (جنوب بغداد) و في الفلوجة التابعة لمحافظة الانبار زوايا للشاذلية[٢٢].

ويعود فضل انتشار الشاذلية في كركوك الى الشيخ محمد جهاد بن ناصر بن احمد من نسب صالح بن جميل الحموي، الذي أسس بنيان اول بيت للشاذلية في كركوك عام ١٩٩٧، كما وهو اول من شيَد التكية الشاذلية في كركوك عام ٢٠٠٢، وقد أخذ الطريقة من الحاج ابراهيم المغربي-نزيل عمان الاردن وتعود سلسلة طريقته الى الشيخ مصطفى العلاوي-الغلالي-الدرقاوي المستغانمي، فهذه الطريقة تعدّ من الطرق الصوفية التي تعرف اشعاعاً كبيراً في الجزائر و المغرب العربي و باقي بلدان العالم كما تشكل أدبيات الشيخ احمد بن المصطفى العلاوي(١٨٦٩م-١٩٣٤م) القاعدة النظرية والمنهاج التربوي الذي تسير عليه الطريقة، فهو قد أسس الطريقة العلاوية سنة ١٩١٤م، وقد لقيت تجاوباً من كثيرين، اذ استطاعت هذه الطريقة-وفي ظرف سنوات قليلة -ان تصبح ملاذاً للافواج الكبيرة من الناس.

عرف الشيخ باخلاقه العالية، و سمته الحسن و قد كانت له شخصيته الجذابة، كما كان خطيباً مفوهاً مقنعاً في مناظراته، أخذ علم التصوف عن شيخه البوزيدي عن محمد بن قدور الوكيلي بن بوغزة الجهاجري عن سيدي محمد العربي الدرقاوي. و من حكمه:- ((ما كثرت النفس الاّ لتسدّ مساوئ القدس. ومن تجلت عليه عظمة الذات أذهلته عن الصفات. لاتترك نفسك و تعاديها بل اصحبها و ابحث عما فيها))[٢٣].

(إن الشيخ على صورة شمعة مشتعلة تسنفذ قواها بانارة الآخرين الى ان تخلفها شمعة أخرى.))

وقد أجرى الباحثان مع الشيخ محمد لقاء و ووجهها إليه اسئلة عن هذه الطريقة في هذه المدينة و مما وردت في اجاباته:-

١-الشاذلية لها تفرعات كثيرة منها-الزروقية، العلاوية، الدرقاوية، اليوسفية، الفاسية، فكل فرع ينسب لمجدد من المجددين في هذه الطريقة، إذ هناك أكثر من ٢٠ مجدد، وهذا يعني وجود أكثر من ٢٠ فرع.

٢-للعلم ان امهات الطرق الصوفية في عالم الصوفية في العالم الاسلامي يبلغ تعدادها ٨-١٢ طريقة رئيسة و تفرعت عنها حوالي ٤٠٠ فرعاً.

٣- فرعنا (فرع الشاذلية) في كركوك منسوب الى السيد احمد بن مصطفى العلاوي فهو له أكثر من خليفة، منهم الشيخ مصطفى الغلالي المغربي، و هناك خمسون زاوية، تنسب إليه فهو مغربي الاصل متوفىّ في الاردن، و أخذ عنه الطريقة الحاج ابراهيم المغربي-نزيل عمان-الاردن.

[٢٢] - السيد محمد جهاد- مقابلة شخصية أجريت معه في ٦- ٢ -٢٠١٥ (أذن بنشرها)

[٢٣] - توماس بوا - مع الاكراد ترجمة اوات زنكنه -دار جاحظ للطباعة والنشر -بغداد -١٩٧٥ م - ص -١٠٧ .

٤-إن الواجبات في طريقتنا العلية الشاذلية موزعة ٩٩٪ منها على الشيخ و ١٪ منها على المريد، والذي عليه هو تصفية القلب و الروح للوصول الى المكاشفة، وذلك بدوام ذكر الله الاعظم.

٥-ان الطريقة العلوية من اسرع الطرق الى الله و طريقتنا طريق الشكر، طريقة علمية، هي عبارة عن المجاهدة- و هي تتخلص في العلم بالله و معرفته ، نعم ان هذه الطريقة هي طريقة الشكر فهي اسهل الطرق للوصول الى الله، ويقول الامام ابو الحسن الشاذلي ((اعرف الله و كل ماشئت و أ عرف الله والبس ماشئت))، و من واجبات الطريقة الذكر في الخلوة، والمقصود بالذكر هو ذكرالله -(الله الله الله..)) تشخيص اسم الله الاعظم- الله،[٢٤].

والخلوة ضرورية و هي الآن (في زاوية السيد جهاد) عبارة عن غرفة في سرداب مساحتها ١×٢م. و في هذه الغرفة يدرّب المريد اسبوع، أو أسبوعين، أو أربعة اسابيع لحد ٤٠ يوم، فيبيت المريد في الغرفة و لايخرج الاّ لاداء الصلاة و لا يأكل الاّ ما يسدّ رمقه، فهو قد يبصل الى المقصود في غضون اسبوع، أو أسبوعين، والى اربعين يوم و بعض الاحيان لا يصل المريد الى المقصود على الرغم من مجاهداته لوجود الموانع و الحجب [٢٥].

هذاو لابد من الاشارة الى ان الخلوة في الطريقة العلاوية من متممات الورد الخاص و هي مكان يعتزل فيه للذكر و العبادة و هي محطة يستزيد منها السالك الطاقة اللازمة للسير كما تكون فرصة تسمح له بالاشراف على الوضع في مجمله، و بالعيش في المواجهة مع النفس و بالغوص في أغوار الباطن، و من المستحب ان تمارس على الاقل مرة واحدة في السنة.

كما ولابد من الاشارة الى ان من نتائج الذكر الوصول الى حال الحضرة أو العمارة و هي الحال التي تعتري الفقراء بعد الاندماج في طقس الذكر او السماع فهي نوع من الذكر ومن الاهتزاز الروحي ،والمقصود بالعمارة هو أن تكون دائرة مغلقة من قبل الاخوان ، وهم واقفون ومتزاحمون بعضهم مع بعض وأعينهم مغمضة واليد اليمنى في اليد اليسرى للمجانب ،والاصابع متشابكة و في وسطها قطب واقف يرسم الايقاع ويصفق ويدور على نفسه وهو يراقب كل واحد وكذا الجميع ،ويغير مكان هذا أوذاك لكي يبقى الكل متوازناً، وعندما يفسد النظام ،أ و يختل، أو يرى أثر الاعباءالشديد يوقفها اى الحضرة كما يقف في وسطها أيضاً واحد أو اثنان من المسمعين الذين ينشدون اشعاراً صوفية في تعظيم الله وفي مديح الرسول وآل بيته، وبارتفاع الايقاع تد ريجياً يصير اسم الله في كل الصدور ، وهو لم يعد يصدر عن الشفتين ولكن عن الصدر ، انه نفس يصعد من القلب بالذات ، والحال ان الاجساد تهتز من الأعلى الى الأسفل دون أن ترتفع الاقدام وتشبه الحشرجة الجامعية الشديدة صوت مستشار ضخم وتبقى الاعين دائماً مغمضة والوجه متهللة، تعبّرعن الالم الممتزج بالفرح، هذا والحضرة من المجامع التي تحرص الزاوية العلاوية على ان تعقد لمريديها بصفة دورية (كل اسبوع ان أمكن) ، ويبدأ المجلس الذي تقام فيه الحضرة (العمارة)بتلاوة كتاب الله وقراءة الورد ،فالسماع الذي يتخلله ترديد اسم الله الأعظم وغالباً ما يكون السماع من القصائد التي يتضمنها ديوان الطريقة العلاوية. ([٢٦])هذا ولا بد من الاشارة الى ان الامام الشاذلي لم يترك كتباً و لما سئل لم تؤلف الكتب؟ قال: كتبي اصحابي، والتراث الذي تركه الامام لتلاميذه و اتباعه يتمثل في احزابه وأوراده و وصاياه لهولاء الاصحاب والاتباع، و أحزاب الشاذلي تكشف عن طاقة روحية هائلة و قدرة خلاقة عن التعبير عن الومضات الروحية و الاشراقات و الجوانب الانفعالية الانسانية، كما تكشف عن ابداع فني جميل، هذا و

---

[٢٤] - السيد محمد جهاد ـ مقابلة شخصية أجريت معه بتأريخ ـ ٢٠ ـ ٣ ـ٢٠١٥ ـ أذن بنشرها

[٢٥] - السيد محمد جهاد ـ مقابلة شخصية أجريت معه بتأريخ ـ٢٠ ـ٣ ـ ٢٠١٥ ـأذن بنشرها

٢٦ - :د .خالد بن يونس ـالتصوف قلب الاسلام ـ ترجمة عن الفرنسية ـمعهد الف ـيارس ـ دار الجمل ـ ط ١ ـ٢٠٠٥ ـ ص ـ ١٦٧ .

يعدّ حزب البر من اجمل احزاب الشاذلي، و قدر رتبه وارثه ابو العباس المرسي كورد يقرأ بعد صلاة الصبح كما رتب حزب البحر ورداً بعد صلاة العصر، وأغلب هذه الاحزاب آيات من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف وأقوال الأئمة من أهل البيت ، و حزب البر حقيقة من اجمل الاحزاب و يتميّز بكلماته المشرقة الفياضة ، و الخلوة من الامور المعهودة وهي انقطاع عن الاهل و التركيز على المقصد و الفتح لا يكون الاّ بالخلوة، و ما كل مريد مشمول بها فذكر الشاذلية وخلوتها مقتصرة على ذكر الله الاعظم بالخلوة و ذلك للوصول الى ذلك السر، و على الانسان ان ينكر كل سر الاّ هذا السر.

وقال عن الذكر: أن ما نقوم به من المراسم عبارة عن مجلسين للذكر في الاسبوع نقرأ فيها و رد عام و سورة الواقعة و ١٠٠ مرة استغفار اما في ليلة الجمعة فنقيم حلقات الذكر- و نقوم بالذكر قياماً و بضرب الدفون. هذا و الشاذلية في كركوك يعتمدون في ذكرالحبيب على كتاب ديوان آيات المحبين و منهج السالكين للسادة المشايخ احمد مصطفى العلاوي و محمد بن الجيب البوزيدي و الحاج عدة بن تونس، فينشدون مافي الديوان من قصائد، و هم يرون ان ذلك اسلوب من اساليب التربية الصوفية لديهم.

ولماسألناه عن الفرق بين الشاذلية و الطرق الأخرى في المنطقة فأجاب لا اختلاف بين الطرق في الاصول و لكن الاختلاف في بعض الفروع. أضاف بعض الى فروع المنهج الأوراد فيتمسك بها المريد. قال عن انتشار الشاذلية على يديه: لنا مرشدون كثيرون في هذه المدينه منهم السيد احمد خورشيد و السيد ملا ياسين الحديدي و الحاج حسن (والد د.اسامة) و في محافظة الموصل و قضاء آلتون كوبري و قرى الحويجة و الرياض كما لنا مريدون في الهند و الصين و تركيا و أوربا.

هذا ويجد الباحثان ان هناك تشابهاً في اداء الذكر بين الطريقيين النقشبندية و الشاذلية ففي الشاذلية كما يقول السيد جهاد: يرفع المريد صوته و يأخذ نفساً عميقاً و يغمض عينيه يحاول صدور اللفظ من اعماقه بينما في النقشبندية الذكر خفي و لايرفع الصوت فيه و لكن المريد يربط قلبه بالشيخ و ياخذ النفس العميق و هو مغمض العينين و يحاول صدور اللفظ من اعماقه [٢٧]

المبحث الثالث:

محنة الامام أبي الحسن الشاذلي

بدءً لا بد من الاشارة الى أن المحنة المنوهة عنها هي محنته (رضى الله عنه)مع اعدائه في تونس، إذ انه وكما سبقت الاشارة وبعد ان اغترف ابو الحسن من استاذه الشيخ عبد السلام بن مشيش جلّ ما استطاع ان يغترف، ودّعه شيخه وامره بالتوجّه الى شاذلة ومن بعدها الى تونس التي لم تكن غريبة على أبي الحسن، فقد دخلها من قبل طفلاً، وأقام بها شاباً يافعاً وفيها تلقى دورسه الأولى ، وفيها كانت له مناظرات سابقة مع علمائها وفقهائها ، وقد وفد عليها هذه المرة رجلاً مكتمل الرجولة ، وعالماً وافر العلم ، صوفيا، صاحب احوال وكرامات ، لهذا لم يكن غريباً ان يقبل عليه الناس من كل حدب وصوب يغترفون من علمه ويتأدبون بآدابه فكان اذا جلس للدرس

٢٧ - د .جواد فقي علي ـ الشيخ خالد النقشبندى ومنهجه في التصوف ـ أطروحة دكتو راه ـ جامعة بغداد ـ١٩٩٧ ـ ص ـ٢٨٢ .

والوعظ تحلقوا حوله بالعشرات ، واذا ساروا وانتقل ساروا في ركبه بالمئات([٢٨]) وفي تونس وبعد ان ذاعت صيته وتهافت الناس حوله ورغبوا لما رأو فيه من صلاح وتقوى وعلم وافر وكرامات شتىَ ([٢٩])، تعرض لحقد العلماء وحسد الفقهاء وقد تزعم المعارضة له قاضى الجماعة وعالمها بمدينة تونس المدعو (أبو القاسم بن البراء)فقد ضاق ابن البراء بأبي الحسن، عندما رأى الناس ينفضون من حوله هو ويتحلقون حول الشاذلي في كل مكان يحلّ فيه، وآلمته هذه المواكب الحافلة تتقدمها الاعلام والكوسات والطبول، كلما انتقل الشاذلي من مكان الى آخر مما جعله يحقد عليه، ابن البراء الذي كان يعدّ نفسه زعيماً بلامنازع في عهد السلطان ابي زكريا، وكان يتخيل ان له شعبية مع ماله من منصب رسمي، وصورّ له خياله انّ الشاذلي إنّما جاء تونس لينتزع منه جاهه وزعامته([٣٠])

فبدأ يكيد للشاذلي لدى سلطان تونس آنذاك(أبي زكريا الحفصى) واتهمه بأنه جاسوس فاطمي ،جاء يتأمر عليه فهو حسني علوي ([٣١]) ولعله يسعى لاقامة ملك لنفسه كما اقام الفاطميون ملكهم من قبل في تونس نفسها .

وقد جرَّ هذا الأمر على الشاذلي شراً كثيراً وتعرض الشاذلي إثر ذلك لمحنة كبيرة . وهنا تصدق في حق الشاذلي المقولة المشهورة – قد يدفع الانسان ضريبة نجاحه وتفوقه ، وقد كان أبو القاسم (ابن البراء)ـ ذكياً في ادعائه ـ فقد كانت تونس قبل ذلك فاطمية ،وكان القاضى لا يرى خلافاً في كلمة القطب الاّ أنها ستار يخفى الشاذلي وراءه معنى الامام الفاطمي أو المهدي .

فقد كان ادعاء ابن البراء ماهراً ماكراً، وكانت التهمة هذه آنذاك وفي بيئة تونس خطيرة، فقد كان في تونس أمس الامام عبد الله المهدي الذي كان على رأس الخلافة الفاطمية، والشيعة مؤمنون بفكرة المهدي المنتظر ومنذ زالت الخلافة الفاطمية وهم يتكلمون في إعادتها والامام أبو الحسن الشاذلي ينتسب الى الامام الحسن بن علي بن ابي طاب – والناس يؤمنون بقطبانيته وابن البراء كان يرى ان الشاذلي كان يتخذ من القطبانية ستاراً يخفي وراءه اهدافه السياسية وطموحه للوصول الى سدة الحكم واعادة الكيان الفاطمي الى البلاد، ولكن وعلى الرغم من أنه كان منتمياً الى الروضة النبوية وآل بيت رسول الله الا انه لم يكن يعنيه السياسة ولم يكن يفكر في الملك ودسنة الحكم .

ويحدثنا صاحب كتاب درة الاسرار وصاحب المفاخر العلية ([٣٢]) عن حسد ابن البَراء ومحاولاته الوقيعة بين الشاذلي وبين سلطان تونسى انذاك – ابي زكريا الحفصي (٣٣) فيقول ((إن ابن البَراء أبلغ السلطان أن هاهنا رجلاً من أهل شاذلة سراقي الحمير، يدّعي الشرف ويدعي انه الفاطمي ويشوش عليك فى بلادك، كما اتهم القاضي الشاذلي بالزندقة))، وأراد بذلك أن يغري علماء تونس وفقهائها ويدفعهم للتحامل على الشاذلي كا اغرى به السلطان على

---

[٢٨] - مجلة دعوة الحق العددان ـ ٦٠ ـ ٦١ ص ـ ٥ منشور على الموقع الالكتروني www.hobous.qov.am.daouatal.haq\item1371 تأريخ اللزيارة ٢٠١٥/٣/٦

[٢٩] - يراجع البحث ص ـ ٦ ـ ٧ .

[٣٠] - أحمد أبو كف ـاعلام التصوف ـالاسلامية ـالمصدر السابق ص ـ ٤٧

٣١ - د.عامر النجار ـالطرق الصوفية المصدر السابق ص ـ ١٢٧ .

٣٢ - أحمد بن محمد بن عباد المحلّي الشافعي المفاخر العلية في المآثر الشاذلية ـ الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ـ ٢٠٠٤ ـفي مصر ص ـ ٢١٠

٣٣ - هو يحى بن عبد الواحد ابي حفص الهنتاني الحفص ابو زكريا، أول من اشتغل بالملك ووطد اركانه من ملوك الدولة الحفصية بتونس تغلب على الملك سنة ٦٢٥ واستقل بدولته سنة ٦٢٦هـ خدم العلم وانشأ المدارس والمساجد وداراً للكتب – كان كاتباً، شاعراً كثير الاحسان وفاته ببونة ودفن في جامعها ثم نقل الى قسنطينية ينظر: خير الدين الزركلي – الاعلام – درا العلم للملايين –بيروت – لبنان ط(١٦) ٢٠٠٥م ج٨ص١٥٦.

الرغم من ان السلطان ابي زكريا لم يأخذ بأقوال ابن البراء وقد كان السلطان من أهل الحكمة والعدل، فأمر بأن يعقد له مجلس فيحضره الشاذلي والعلماء والفقهاء، ويناقشون أبا الحسن في كل هذه الدعوى وغيرها ويعطى له الفرصة للدفاع عن نفسه، وعقد المجلس وحضره السلطان وجلس وراء الحجاب وسألوه عن نسبه مراراً، والشيخ يجيب، ويصرح بنسبه الشريف ،وتحدثوا معه في علوم الدين والفقه فأفاض عليهم بعلوم اسكتهم بها فما استطاعوا ان يجاوبوه عنها من العلوم الموهوبة، والامام يتكلم معهم بالعلوم المكتسبة ويشاركهم فيها، فوجدوه عالماً فقيهاً اذهل الجميع بحسن اجابته .

فأقحم الإمام ابن البراء وصحبه، وعلت كلمته واقتنع السلطان ببراءته بل وآمن بولايته فالتف الى ابن البراء ومن معه([٣٤]) فقال لهم : ـ السلطان دعوه عنكم هذا رجل من اكابر الاولياء ومالكم به طاقة ([٣٥])

فقال ابن البراء للسلطان بعد أن أحسّ بحراجة الموقف: ـ ،والله ان تركته ليد خلن عليك أهل تونس ويخرجنك من أظهرهم ،فانهم مجتمعون على بابك منتظرين نتيجة المحاكمة، وبذلك أراد ان يعود الى تحريض السلطان على ابي الحسن وان يخوفه من ثورة الناس، ولكن السلطان الذي تأكد من علم وتقوى الشاذلي، لم يهتم بقول قاضى الجماعة، وأمر الفقهاء ان ينصرفوا ولبث مع الشيخ وقتاً طيباًيحدثه ويلاطفه، الى ان حضرأخوالسلطان أبو عبد الله اللحياني وكان كثير الاعتقاد في الشيخ ،فخرج مع الشاذلي الى داره وصحبه وأكرمه. .

خرج أبوالحسن من هذه المحنة منتصراً ولكنه بدأ يحسّ بغيرة قاضى القضاة وحقده نحوه، فأحسّ بأن المقام لم يطيب له في تونس فقد توقع ان القاضي ابن البراء لايمكن ان يخضع للهزيمة التي مُني بها، وأنه لابد مدبر مكيدة، وان الفتنة توشك ان تنشب بين أتباعه وبين الفقهاء من اصحاب ابن البراء ، فالامام الشاذلي رجل صوفي ينشد الصفاء والهدوء والحياة الصافية ، وقد شعر السلطان ومعه الفقهاء في كلام ابي الحسن نضجاً في العلم والتفكير وروحانية في الحديث وشفافية في البصيرة، فعزم على ان يترك تونس وأخذ يدبر أمر الرحلة ،فلما علم السلطان بذلك تألم وقال لمن حملوا اليه الخبر : أى شيئ يسمع به عن اقليمنا ؟ انه أتاه ولي من أولياءالله فضاق عليه حتى خرج فاراً بنفسه ، ثم ارسل الى الامام الشاذلي من يحاول ان يثنيه عن عزمه ، الا ان الامام اعتذر اعتذارا لطيفاً

فقال الامام الشاذلي لرسول السلطان:- ما خرجت الا بنية الحج واذا قضى الله حاجتي أعود الى تونس ان شاءالله فسمح له السلطان بالخروج على اساس هذا الوعد بالعودة الى تونس. وقبل ان يغادر الامام تونس ارسل الى ابن البراء رسالة قصيرة بها جملة واحدة يسخر فيها من القاضي واطماعه وحقده قال فيها : اتراني اوسع لك مدينة تونس ؟([٣٦])

الا ان ابن البَراء الذي أكل الحقد قلبه ولا يزال قلبه مملوءًبالغيرة والحقد على الامام لاسيما منذ منوئه بالهزيمة في مجلس السلطان فكاد للشاذلي مكيدة أخرى وهذه المرة خارج تونس .

فالغريب ان الحقد والعداوة قد أعمى هؤلاء ولم يتر كوه بعد ان ترك البلد وهاجر الى مصر .

فلما قدم من تونس الى الأسكندرية كتب القاضي وأعداؤه الى السلطان الأيوبي في مصر رسالة موقعة من لدن عدد من الشهود، وحدث فيها حديث الشيخ فكتب بأنه سيقدم عليكم مغربي زنديق ،وقد أخرجناه من بلادنا فاحذروه،فقد أعدَ ابن البَراءهذه الرسالةَ بشكل سريع وأرسلها الى سلطان مصر انذاك السلطان الكوردي (محمد

[٣٤] - مجلة وعد الحق ـالمصدر السابق ص ـ٦

[٣٥] - د.عامر النجار ـ المصدر السابق ص ـ١٢٩

[٣٦] - مجلة دعوة الحق ـالعدد ـ٦٠ ـ٦١ ـالمصدر السابق ص ـ ٧

الأيوبي)([٣٧]) وتضمنت الرسالة اتهام الامام بأنه شريف علوي يسعى الى اعادة ملك الفاطميين، وكتب في ختام الرسالة ان هذا الواصل اليكم شوّش علينا بلادنا وكذلك يفعل ببلادكم، وأمر حامل الرسالة ان يسرع الخطى ليصل الى مصر قبل وصول الشيخ اليها .([٣٨]) وقد وصل رسول ابن البَراء للملك قبل وصول الشاذلي لمصر في طريقه للحج، .وقد وجدت الرسالة آذاناً صاغية، ولم يكد الشاذلي يصل الأسكندرية حتى قبض عليه وارسل في حراسة مشددة الى القلعة في القاهرة، فتصدر الناس لايذائه فاظهر الله على يده الكرامات الخارقة وكف ايدي الناس عنه ـ وهناك عقد له مجلس من القضاة والعلماء وفقهاء الدين ووجه السلطان التهمة الى الامام وقال فيها ((هذا عقد مشهود فيك وجهه ابن البراء من تونس وعلامته فيه ،ثم اطلعه على العقد([٣٩]) وكانت هذه محاكمة ثانية وتحدث الامام فبهر الجميع بحديثه وأخذ بألبابهم لاسيما الملك الكامل – الذي كان رجلاً عالماً مثقفاً، واسع الفكر فعرف للشيخ مكانته وادرك ان التهمة مغرضة)) ولم يجد في الشيخ ما يخاف منه خاصة وانه لم يكن معتزما المقام في مصر بل كان متجها في طريقه الى الحج فقرّ به اليه وأكرمه.

يقول الامام : وأقمنا عنده اي عند الملك الكامل – في القلعة أياماً واهتزت لنا الديار المصرية الى ان اطلعنا للحج ، فأكتشفوا علمه وورعه وصدقه في دعوته وايمانه ،حينئذ أحسّ السلطان بأنّ ما جرى مكيدة من ابن البَراء فاعتذر للشاذلي واكرم وفادته كما ذكر ـ ،فاستأنف أبو الحسن سفره للحج ،ثم عاد الى تونس وفاءً لوعده لسلطان تونس، والسؤل الذي يطرح نفسه هو : هل نسي الشيخ مافعله به ابن البراء؟ وكيف سعى به لدى سلطان تونس ثم هو مازال يمارس القضاء في تونس وكلمته مسموعة ؟ والواقع ان الامام لم ينس هذا كله ولكنه عاد وفاء بالوعد الذي وعده للسلطان أن يذهب للحج ثم يعود ،كما وقد عاد الامام الشاذلي لغرض آخر وهو الالتقاء بتلميذه الكبير وصفيه وخليفته أبو العباس المرسى، فقد ورد عن الامام قوله :(ماردني الى تونس الا هذا الشاب)([٤٠]) فمكث الامام في تونس هذه المرة حوالى عامين عمل خلالهما على تصفية أموره .

اذن لم يقم الامام في تونس هذه المرة طويلاً ،اذ لم يعد هناك مايربط الامام بتونس ،لهذا لم يمكث بها هذه المرة غير سنتين وعمل خلالهما على تصفية اموره فباع داره بها ثم أعد العدة للرحيل الى الشرق وصحبه تلاميذه ومريديه.

رحل الى الاسكندرية عام(٦٤٢ هـ) وممن صحبه خادمه الأمين أبو العزائم – ماضي بن سلطان – والحاج محمد القرطبي وأبو عبد الله البجائي وأبو الحسن البجائي ، والخزاز وعدد كبير من أتباعه الذين أخذوا في التزايد كلما مر بمدينة من المدن وهو في طريقه الى الاسكندريية وكان في هذا تحقيق لنبوءة استاذه ابن المشيش عنه التي كان قد ختمها بقوله ((وبعد ذلك تنتقل الى المشرق وترث القطبانية)).([٤١])

فلما وصل الشيخ وأتباعه الاسكندرية اتخذ له داراً بالقرب من كوم الدكة – ببرج من ابراج السور وقفه عليه وعلى ذريته السلطان الكردي والمكان كان يسع لجمل الخدمات كمساكن الفقراء والجامع ومسكن الامام واسرته .

---

[٣٧] - الايوبيون بعد صلاح الدين علي محمد محمد الصلابى ـ دار المعرفة لبنان ج ـ ١ ص ـ ٤٧٨ .

[٣٨] - مجلة وعد الحق العدد ـ ٦٠ ـ ٦١ ـ المصد السابق صـ ـ٧

٣٩ - مجلة دعوة الحق ـ العدد ـ٦٠ ـ ٦١ ـ المصدر السابق ص ـ٧

[٤٠] - أحمد أبو كف ـ المصدر السابق ـ ص ـ٤٩.ينظر على محمد الصلابى ـ الأيبيون بعد صلاح الدين ـ دار المعرفة لبنان ج ـ ١ ص ـ ٤٧٨ .جرت هذه الحادثة ـ٦٣٥ هه ـ لأن ملك الكامل الأول (محمد) حكم مصر الى عام ٦٣٥ هه

[٤١] - مجلة دعوة الحق ـ العدد ـ٦٠ ـ ٦١ ـ صـ ٨ ـ المصدر السابق

بدأ الامام يلقي دروسه ويدعو الناس الى طريقته بدعم من السلطان في مسجد العطارين([٤٢]) ،كما كان يعقد في كل ليلة في داره مجلسا يأتي اليه الناس من البلد ليسمعوا كلامه وتوجهاته.

لقد كان اقامة الامام الشاذلي في مصر مصداقاً لما نودي به حين دخلها : ياعلي قد ذهب ايام المحن واقبلت ايام المنن عشر بعشر اقتداء بجدك محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه)، وقد جذبت اليه هذه الدروس والمواعظ جلة من علماء المدينة وفقهائها فلازموه ملازمة تامة واصبح هؤلاءالتلاميذ فيما بعد قادة الحياة الفكرية والروحية في الاسكندرية بشكل خاص، وفي مصر بشكل عام، وقد أخذ الشيخ ابو الحسن تلاميذه ومريديه بالمباديء المثلى في التصوف، فهو لم يفهم التصوف كما فهمه بعض معاصريه من المتشيخة على أنه بطالة تامة بحجة الزهد والتفرغ للعبادة، بل فهمه على أنه صفاء تام في النفس وتقوى خالصة لله وحبّ لله تعالى، وتعلق به، وارتقاء بالروح وبالعمل وبالقول عن الدنايا.

كانت مصر تعتز حينئذ بمجموعة من اكارم العلماء وافضلهم علما وخلقاً وصلاحاً ، مجموعة وهبت نفسها لله واسلمت قيادها له فاحاطها الله.بعنايته.وتكفلهابرعايته. ، وقد استقبلت هذه المجموعة ابا الحسن احجل استقبال ورافقته متتلمذة عليه ومتآخية وتيسرت السبل ليقوم الامام بدعوته في الكثير من مدن مصر وكان يحضر مجلسه اكابر العلماء من اهل مصر ويرافقونه في جولاته([٤٣]) هذا ويقول أبو الحسن الشاذلي عن هجرته من تونس الى الاسكندرية بأنه انتقل الى الاسكندرية بناء على رؤيا رآها وفيها يأمره النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)بالهجرة الى مصر ويربّي فيها اربعين صديقاً([٤٤]) .

وقد كانت هجرة الشاذلي الى مصر مرحلة انتقالية لدعوته فهو قد أسس في مصر طريقته التي انتشرت بها انتشاراً سريعاً، وقد احيا في مصر نفوساً بمعارفه وبعث هممأ بمواقفه وأنار عقولاً وملأ صدوراً ، وحرّك قلوباً باللطائف العلية والمعارف اللدنية، ، هذا وقد كان الشاذلي على قدر كبير من المعرفة والعلم ، وكان يحضر مجلسه بعض علماء ونخباء مصر منهم (العز بن عبد السلام ، وابن دقيق العيد ، والحافظ المنذري ، وابن الحاجب الكردي، وابن صلاح الشهرزوري). واستطاع الامام أن يربّي الرجال داخل مدرسته كما استطاع الامام أن يعلمهم منهجه وطريقته فاعتقد به الخواص والعوام ([٤٥]).

يقول أحمد أبو كف : ((حين زار (الشاذلي)مصر اهتزت الدنيا لزيارته وحين استقرّ بها في مختم حياته سكن احد ابراج سور الاسكندرية ، وكان المريدون يتزاحمون حوله وحين كان يجلس في الاسكندرية في جامع العطارين أو يجلس في القاهرة في مدرسة الكاملية يتكوكب على مجلسه أكابر العلماء لازمين الادب والصمت ، مصغين السمع ،فاتحين العقول والقلوب ، لأنهم تاكدوا بأن كلامه قريب العهد من الله))([٤٦]).

---

[٤٢] - د. عامر النجار ،المصدر السابق ص ،١٢٨

[٤٣] - احمد أبوكف ،المصدر السابق ص ، ٤٩ ومجلة دعوة الحق ، العدد ،٦٠ ،٦١ المصدر السابق ص ،٩ .

[٤٤] - د. عامر النجار ،المصدر السابق ص ١٣٢

[٤٥] - احمد أبوكف ،اعلام التصوف الاسلامي ،لمصدر السابق ص ، ٤٠

[٤٦] -احمد أبو كف : اعلام التصوف الاسلامية ،المصدر السابق ص ،٥٠

والواقع أن نشاطات الامام الشاذلي ودعوته قد بلغ الذرى في القوة والانتشار بعد هذه المرحلة من حياته ، فإجباره على الهجرة كان سبباً رئيساً لازدهار طريقته ونشرها ، إنَ اقامة الامام في مصركانت فترة خصبة له من حيث الدعوة ومن حيث الرجال([٤٧]).

ان الدارس للطريقة الشاذلية وسيرة مؤسسها يصل الى نتيجة مفادها ان هجرة الامام الشاذلي الى مصر انتشلته من اطار المحلية ودفعته نحو آفاق عالمية، وفي الهجرة نوع من التعالق وتكاثر الفضاءات وتعددها ، وهنا لابد من الاشارة الى عظمة مصر وعالميتها وانفتاحها على العالم العربي والاسلامي والغربي قياساً بتونس([٤٨]).

ان الكلام عن عدم تدخل الشاذلية في الامور السياسية لا يعني تقاعس المريدين وشيوخ هذه الطريقة في الدفاع عن الأوطان والذود عن الحمى ، اذ من المعلوم أن الإمام أبا الحسن قد عاصر الظاهر بيبرس ،وهو عصر تهددت فيه مصر بجيوش الصليبين في أوائل النصف الأول من القرن السابع الهجري ،وكانت حملة الصليبين بقيادة لويس التاسع (ملك فرنسا) وقد احتلت مدينة دمياط و أعدَ العدة لاحتلال المنصورة في الطريق الى القاهرة ، وقد أبلى أتباع الشاذلية بلاءً حسناً في هذه المعارك ولعب الشيخ أبو الحسن وجمع كبير من علماء وأولياء مصر دوراً كثير الأهمية في التعبئة المعنوية للجيوش المقاتلة ،فعلماء مصر وأولياءه لم يقعدوا في بيعهم وصوامعهم بعيداً عن الخطر ، وانما هبَوا للجهاد في سبيل الله فهاجروا الى قلب المعارك ، يروى أن الامام أبا الحسن وعلى الرغم من أنه قد كفَ بصره أنذاك ، ولايمانه بأن الاسلام دين كفاح وجهاد ،فقد ظل الشيخ مع قرنائه من العلماء يسيرون بالنهار وسط الجند بسمتهم الملائكي يحثونهم على الجهاد ويبشرونهم بأحدى الحسنين النصر أو الشهادة ،فقد شغل أمر المعركة معظم وقتهم وهم حتى في الليل كانوا يجتمعون في مجلس بأحدى الخيام يتعبدون ويتوجهون الى الله بدعائهم وصلواتهم يلتمسون منه النصر ـ بل أن أمامنا أبا الحسن لا يفارق أمر المعركة أحلامه ، فهو يرى في منامه رؤياً، وقد رأى فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ،وقد قال له : ـ لا تهتم كل هذا الهم من أجل ثغر ومياط وطمأنه بأن النصر حليف المسلمين وقد تحقق هذا فكان النصر المؤزر للمسلمين في المعركة (٤)

هذا وقد ترك الشاذلي في مصر تلاميذ ومريدين حملوا رايته واذاعوا فضله واعلنوا نداءه وترسموا خطاه الاصلاحي وساروا في ضوء مصباحه ، وفي مقدمة هؤلاء أبي العباس المرسي الذي كان ،كما تمت الاشارة- تلميذه الكبير وأقرب الناس الى قلبه وزوج ([٤٩])ابنته ، وللشاذلية اليوم فروع كثيرة في مصر والمغرب العربي ، ففي مصر أكثر من (١٥)فرعاً لها ([٥٠]) هذا ولابد من الاشارة الى ان ابن البرّاء قد مني في اخريات حياته ولم يختم له بالخير ([٥١])

[٤٧] يوسف خطار محمد – السيرة المرضية في ترجمة مؤسسي الطرق الصوفية دار التقوى . ط٢ مط. نضر –دمشق ١٩٩٩مص٨٣

٣علي عبد الله وحبيب محمد : مةولانا خاليد موسافيرة بيَ نشتمانةكة (مولانا خالد المسافر عديم الوطن) ط١ مط كؤض سليمانية ٢٠ص:٢ ٤

٤.احمد أبو كف ـاعلام التصوف الاسلامية ـ المصدر السابق ـص ـ٥٥ .

[٤٩] - يوسف خطار محمد – السيرة المصدر السابق – ص٨٣

[٥٠] - د. عامر النجار ـالمصدر السابق ـص ١٤٦-١٤٧

[٥١] - احمد أبوكف ،لمصدر السابق ـص ـ ٤٨

نتائج البحث

بعد هذه الجوله في رحاب الحديث عن الامام الشاذلي و طريقته و مواقفه وصل الباحثان الى نتائج يمكن تلخيصها بما يأتى:-

١-مما يلفت النظر في مواقف الامام الشاذلي-موقفه من خصومه حيث قابل عداءهم بالدعاء لهم بالاصلاح و الهداية، ويجب ان نتأسى بأخلاق هؤلاء الرجال في أيامنا هذه لا سيما مع بني جلدتنا و مواطني أو طاننا فبرزع المحبة و العفو و التسامح نبني الجسور و نقوي الثغور، و لانجانب الصواب إن قلنا إن للتنوع الثقافي الذي تربىّ عليه الامام الشاذلي من عراقية، و تونسية، مغربية، حجازية و بعبارة أخرى (مشرقية و مغربية)، أثراً على سلوكه و تصرفه حتى مع خصومه إذ لم يكن ميالاً الى العنف ضدهم قط، و كلما حاول خصومه استعمال العنف معه ترك لهم المكان-كما في تركه لتونس- ولاذ بمكان آمن دون ان يترك الناس يتقاتلون فيما بينهم عليه، وقد كان دائم الدعوة الى الوحدة و الوفاق و نبذ الخلاف و التشرذم كما كان داعية التسامح والعفو عن اعدائه.

وقد اثمرت هذه السياسة الحكيمة للامام فانتصر على خصومه و خذل اعداءه، فهو لاستقامته على شريعة الله و حسن آدابه و فضائله الجمة و لشهامة نفسه الأبية و لتواضعه لله و لدينه ترك اعداءه جانبا، ولم يتخندق في الطرف المقابل لهم بل دعى لهم بالرشاد و عفاعنهم لذا لانت له قوة الجبابرة و صار مرجع القوي و الضعيف. وهذه السياسة الحكيمة قد أثمرت ماأثمرت من انتشار افكار الامام شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً لاسيَما في أقاصى المغرب وشمال افريقيا-مما يميز الشاذلية هو ضرورة السعي في مصالح المسلمين و قضاء حوائجهم. و بمعنى آخر فان هذه الطريقة.

٢ : ممايميز الشاذلية هو ضرورة السعي في مصالح المسلمين وقضاء حوائجهم ،وبمعنى أخر فان هذه الطريقة هي طريقة الاحساس بمعاناة المسلمين فهي تطبيق عملي لما نادى به الرسول(صلّى الله عليه و سلم) من ان المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

٣-للشاذلية في العراق جذور تأريخية فكانت هناك زوايا شاذلية في مختلف الامصار العراقية الكبرى كبغداد و البصرة و الموصل.

٤- تمثل التكية العلاوية الدرقاوية الشاذلية التي يديرها السيد محمد جهاد في مدينة كركوك الطريقة الشاذلية الوحيدة في العراق في الوقت الحاضر و له مريدون و خلفاء منتشرون في مختلف انحاء العراق.

٥-مما يميز الشاذلية العراقية في الوقت الحاضر عن الشاذلية في المغرب العربي تأثر الشاذلية العراقية ببعض المراسيم و الطقوس الموجودة في الطرق السائدة في عراقنا في الوقت الحاضر، فهي قد أخذت الضرب بالدفوف و الذكر وقوفاً من القادرية- تلك الطريقة السائدة في كركوك في الوقت الحاضر.

ما أجدرنا بالتآسي بأخلاق الامام أبي الحسن الشاذلي و تعامله مع خصومه، لاسيما في أيامنا هذه إذ ان اعداء الاسلام قد تكالبوا على المسلمين من كل حدب و صوب و مما يحز في النفس انه و في (بعض الاحيان يعادي الاسلام بسيفه)، ونحن على يقين بان الذي توصل امتنا الى برّ الايمان، هو اتباع سلفنا الصالح وآل بيت النبي الكرام و سياستهم الحكيمة باتخاذ العفو و التسامح نهجاً لنا في حياتنا.

قائمة المصادر

١. ابراهيم احمد شوان: شيعري ئايني و سؤفيطةري لة شيعري مةحويدا (الشعر الديني و التصوفي في شعر محوي)، رسالة دكتؤراه، جامعة صلاح الدين، كوردستان العراق، ١٩٩٦.

٢. احمد ابو كف: اعلام التصوف الاسلامي، مكتبة الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٢.

٣. احمد بن محمد بن عباد المحلّي الشافعي – المفاخر العلية في المآثر الشاذلية – المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٠٤

٤. تومابوا: مع الاكراد، ترجمة اوات زنكنة، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٥.

٥. جواد فقي علي و قاره مان نادر: منهج مولانا خالد في التعامل مع خصومه، بحث مقدم الى مؤتمر كرميان للتصوف، المنظم من قبل مركز كركوك للتنوير، كوردستان العراق،٢-٢٠١٤/٤/٣.

٦. جواد فقي علي: الشيخ مولانا خالد النقشبندي و منهجه في التصوف، اطروحة دكتوراه، مقدمة كلية الشريعة، جامعة بغداد، ١٩٩٧.

٧. د.خالد بن تونس: التصوف قلب الاسلام، ترجمة من الفرنسية، معهد الف باريس، دار الجمل، ط١، ٢٠٠٥.

٨. خير الدين الزركلي – الاعلام – دار العلم للملايين – بيروت – ط١٦ ٢٠٠٥م لبنان .

٩. زامباور: معجم الانساب والاسر الحاكمة في التأريخ الاسلامي – مط جامعة فؤاد الأول ١٩٥٢م

١٠. شهاب الدين احمد بن يحمى بن فضل الله العمري ت/٧٤٩ه) مسالك الابصار في ممالك الامصار، السفر الثامن، طوائف الفقراء الصوفية، تحقيق بسام محمد بارود ، من اصدارات المجمع الثقافي، ابو ظبّي، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.

١١. طارق محمد سليمان: الجنيد البغدادي و مدرسته الصوفية:- رسالة ماجستير كلية الشريعة، جامعة بغداد، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٨م.

١٢. د.عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر نشأتها و نظمها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.س.

١٣. عباس العزاوي: خلفاء مولانا خالد، مجلة المجمع العلمي الكوردي،مط المجمع، ج٢، ق٢، ١٩٧٤.

١٤. عبدالحليم محمود: العارف بالله بشر بن الحارث الحافي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤.

١٥. عبدالرحمن بن احمد الجامي: نفحات الانس في حضرات القدس، تصحيح و تعليقات محمود عابدي، انتشارات اطلاعات طهران، ١٣٨٢ه.ش

١٦. عبدالرزاق القاشاني: معجم المصطلحات و الأرشادات الصوفية، تحيق سعيد عبدالفتاح، مطابع الحياة المصرية، ٢٠٠٤.

١٧. عبدالقادر عيسى: حقائق التصوف، مط النواعير، الرمادي، ١٩٩٣.

١٨. د.عزالدين مصطفى رسول: شيء عن التصوف في الادب الكوردي، مجلة كاروان (القافلة)، العدد٥٣، شباط ١٩٨٧.

١٩. علي محمد محمد الصلابي – الايوبيون بعد صلاح الدين – دار المعرفة – لبنان

٢٠. علي عبد الله وحبيب محمد مةولانا خاليد موسافيرة بيَ نشتمانةكة (مولانا خالد المسافر عديم الوطن) ط١ مط كؤض سليمانية ٢٠١٢

٢١. د.عمار علي حسن: الصوفية والسياسة في مصر، مركز المحروسة للبحوث والتدريب و النشر، المادي، ط١، يتاير ١٩٩٧.

٢٢. السيد محمد جهاد الكركوكي مقابلة شخصية .

٢٣. د.قاسم غني: تأريخ تصوف در الاسلام(تأريخ التصوف در الاسلام)، ترجمة صادق نشأت، مط الطباعة الحديثة، مصر، ١٩٧٠.

٢٤. مجلة دعوة الحق العددان منشور على الموقع الالكتروني
www.hobous.qov.am.daouatal.haq\item1371

٢٥. محمد سليمان الحنفي البغدادي: الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية و البهجة الخالدية، مط العلمية، مصر، ١٣١٣ه/١٨٩٥م.

٢٦. يوسف خطار محمد – السيرة المرضية في ترجمة مؤسسي الطرق الصوفية – دار التقوى – ط٢ مط. نضر – دمشق ١٩٩٩م .

الموقع الاكتروني:

٢٧. www.fal kcultuubh.org.

٢٨. www.hobous. gav.maL daouat-Al haq.

الملاحق

تتضمن الملاحق ما يأتي:-

١- صورة التكية الشاذلية المركزية في مدينة كركوك

٢- الشعارالمركزي للتكيةالشاذلية في كركوك

٣- سلسلة الطريقة الشاذلية في كركوك

٤- ختم راعي التكية الشاذلية في كركوك (السيد محمد جهاد).

٥- الصفحة الأولى- لديوان آيات المحبين و منهج السالكين لمشاريخ الشاذلية.

٦- أذكار وأورادالشاذلية في كركوك.

صورة التكية الشاذلية المركزية في مدينة كركوك

الشعار المركزي للتكية الشاذلية في

كركوك.

سلسلة الطريقة الشاذلية في كركوك

ختم راعي التكية الشاذلية في كركوك (السيد محمد جهاد).

الصفحة الأولى- لديوان آيات المحبين و منهج السالكين لمشاريخ الشاذلية.

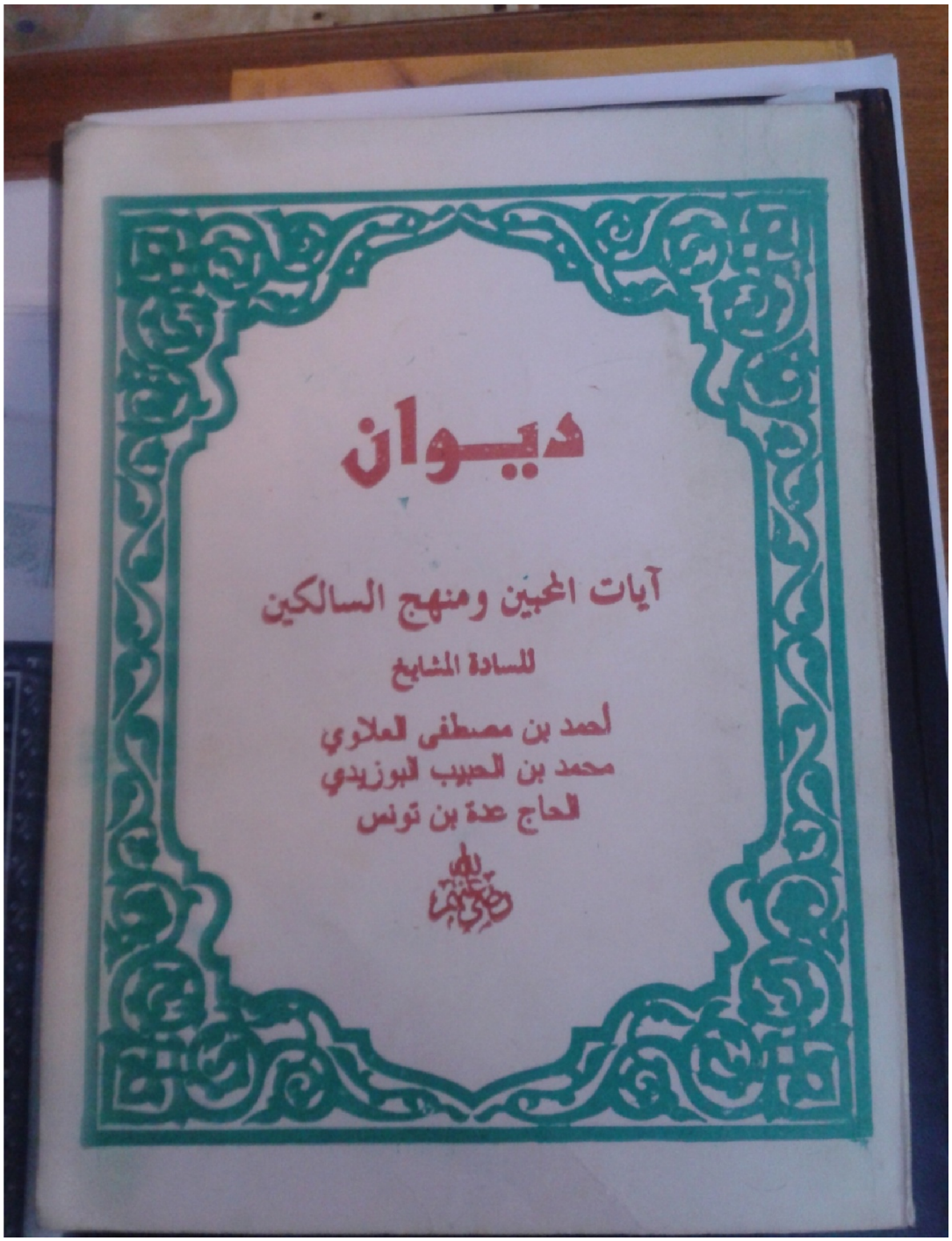

. أذكار الشاذلية في كركوك.

کورتەی توێژینەوە

هەردوو تووێژەر لەم توێژینەوەیە گرفت و تەنگ و چەڵەمەکانی کە هاتۆتنە سەر ڕێگای پێشەوا ئەبو حەسەنی شازلی دەخەنە ڕوو دەری دەخەن چۆن ناوبراو بە لێبووردەیی و خۆشەویستی و هەوڵی چاك سازی توانی شکست بە دووژمنەکانی بێنێ و بیرو باوەڕەکەی سەر بخاو بلاّوی بکاتەوە لە ڕۆژئاوای وڵاتانی عەرەبی و مصرو عیراق.

هەروەها ئەم توێژینەوەیە تیشك دەخاتە سەر ڕێبازی شازلی لە عیراق. بە تایبەتی لە شاری کەرکوك ، وە ڕۆڵی تەکیەی شازلی لە هاوکاری و خۆشەویستی و برایەتی لە نێوان پێکهاتەکانی شاری کەرکوك ، ئەم توێژینەوەیە لە سێ بەش پێك هاتووە وەباسی تەنگ و چەڵەمەکانی ژیانی پێشەوا حەسەنی شازلی دەکات و تیشك دەخاتە سەر ڕێبازەکەی و شێوازی هەڵس و کەوتی لەگەڵ نەیارانی.

Abstract

In this research, both researchers focus on the challenges, problems and hard times that the Islamic scholar Abu-Hasan Shazly faced during his lifetime. They show that how the scholar could succeed in defeating his foes and enemies via promoting and spreading his beliefs in reforming, tolerant and loving ways in the west of Arabic countries, Egypt and Iraq.

In addition, this research concentrates on Shazly's method in Iraq, especially in Kirkuk city and shows the role of Shazly's mosque in encouraging cooperation, brotherhood, and tolerance among the residents of Kirkuk with different nationalities.

This research has been divided into three parts: the first part talks about the challenges and hard times of the scholar Abu-Hassan Shazly, the second one shed light on his methods and the final part focuses on his behaviour and attitudes with his enemies.